

عقيدة التالوث هل تعني الشرك بالله

بقلم
الدكتور القس وديع ميخائيل

نبدأ بالسؤال : هل المسيحيون مشركون ؟ هل يؤمنون بوجود أكثر من إله واحد ؟ ماذا يقول الكتاب المقدس – دستور المسيحية – في هذا الامر .

لا شك أن الكتاب المقدس يؤكد علي وجود إله واحد فقط ، لا إلهان أو ثلاثة ، فموسي يكتب في سفر الخروج عن كيفية تكلم الله إلي الشعب "ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً : أنا الرب إلهك .. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي .. لأنني أنا الرب إلهك إله غيور" خروج ٢٠ : ٢ ، ٥ .

ثم يقول " أنا الرب هو الإله ليس آخر سواه " تثنيه ٤ : ٣٥ .
ونسلم نفس النعمة تتردد " هكذا يقو الرب أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غير " أشعيا ٤٤ : ٦ .

ويعود الوحي ليؤكد حقيقة الإله الواحد في كلمات واضحة ويقول " الرب إلهنا رب واحد . فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك " تثنية ٦ : ٤ ، ٥ .
ونكتفي بهذا القدر الذي يعلن لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الله واحد لا شريك له ، ولا يوجد غيره يساويه .

إذن ما معني قول المسيحيين الأب والابن والروح القدس ؟

هل هناك ثلاثة آلهة ؟

إن من يسأل هذا السؤال يؤكد أنه يجهل العقيدة المسيحية ، ولأنه يجهلها لذلك فهو لا يفهمها ، وعدم فهم العقيدة المسيحية عن الله جعل كثيرين يتهمون المسيحيين بأنهم يعبدون ثلاثة آلهة .. والعياذ بالله !!

لكن لو أدرك الناس المعني العميق للتالوث المقدس لعرفوا أن المسيحيين يؤمنون بالإله الواحد الأحد ، ويتمسكون بكل قوة أن : لا إله إلا الله .
ولو رجعنا لتوراة موسى ، وإلي أول سفر منها وهو سفر التكوين ، وقرأنا العدد الأول من الإصحاح الأول لوجدنا هذه الكلمات :

" في البدء خلق الله السموات والأرض " تكوين ١ : ١ .
ولو رجعنا إلي الأصل العبري لكلمة الله الواردة في الآية السابقة لرأينا أنها جاءت في صيغة الجمع ، وهي تقرأ هكذا " في البدء خلق ألوهيم السموات والأرض " وألوهيم تعني " آلهة " ومفردها إله ، كما أن كلمة (بعل) تعني وثن وجمعها (بعليم) .
والمتأمل في إصحاح الخليقة سوف يلفت نظره شئ هام جداً ، وهي صيغة الفعل المفرد مع الفاعل الجمع ، مثل " وقال الله " وهي في الأصل " وقال ألوهيم " أو " وقال الآلهة " ،

فكيف يعترف كاتب التوراة موسى في الآيات السابقة التي بدأنا بها مقالنا بأن " الله واحد " بينما هو يؤكد من البداية أنه " ألوهيم " ؟
لو ذهبنا إلي الإصحاح السادس من سفر أشعياء لرأينا وقرأنا كلاماً يمكن أن يفسر لنا ما يبدو تناقضاً ، فقد رأي أشعياء " السيد جالساً علي كرسي عال مرتفع .. والسرافيم واقفون فوقه .. وهذا نادي ذاك وقال قدوس قدوس قدوش رب الجنود مجده ملء كل الأرض " .

" ثم سمعت - أشعياء يتكلم - صوت السيد قائلاً من أرسل - مفرد - ومن يذهب من أجلنا - جمع - فقلت ها أنذا أرسلني - وليس أرسلوني " أشعياء ٦ : ١-٨ .

ونعود إلي البداية مرة أخرى لنرى نفس الأمر ونفس الصيغة التي تجمع بين المفرد والجمع بصورة ملموسة واضحة ، فنقرأ في سفر التكوين " وقال الله - مفرد - نعمل الإنسان علي صورتنا كشبهنا " تكوين ٢ : ٢٦ ، لكن لو قرأنا العدد (٢٧) سوف نجد عجباً ، فلنقرأ معاً " فخلق الله الإنسان علي صورته - مفرد - علي صورة الله خلقه " .

نلاحظ في العدد (٢٦) القول " علي صورتنا " ، وفي العدد (٢٧) " علي صورته " فمن هم الذي خلقوا الإنسان وقالوا علي صورتنا ؟
ومن هو الذي خلق الانسان وقيل " علي صورته " لا بد أن نتأمل في هذا الكلام بتأني وبخشوع .
وقبل أن نتأمل لا بد أن نقرأ جزءاً آخر من الكلمة المقدسة وفي سفر التكوين مرة أخرى .
بعد أن تعدي الانسان علي الوصية الالهية واكل من شجرة معرفة الخير والشر نقرأ :

" وقال الرب الإله - مفرد - هوذا الانسان قد صار كواحد منا " تكوين ٣ : ٢٢ .
ونحن هنا لسنا في مجال البحث المستفيض لأننا محكومين بالمساحة والوقت لكننا نسأل : ما السر في هذا الخلط اللغوي ؟ وما المقصود من قول الرب الإله - الواحد الأحد - " كواحد منا " في صيغة الجمع الواضحة واعتقد بكل يقين وايمان أن الاجابة علي هذا السؤال ، والاطمئنان في هذه الحيرة نجدها في عقيدة " الثالوث " .

والثالوث ليس بدعة ، لأن العالم الذي حولنا يكاد يكون كله مثلث :

● فهناك الشمس الواحدة : قرص وحرارة وضوء .

د. القس وديع ميخائيل .. عقيدة الثالوث

- وهناك المساحة الواحد : طول وعرض وارتفاع .
 - وهناك الإنسان الواحد : روح ونفس وجسد .
 - هناك الذكاء والشعور والارادة في الشخصية الواحدة .
 - هناك المفكر والفكرة والعلاقة بينهما .
 - هناك الفكر والنفس والكلمة المنطوقة .
 - هناك الوظائف القانونية والتشريعية والتنفيذية في الحكومة الواحدة .
- وبما أن الانسان (المثلث) مخلوق علي صورة الله كشيبهه ، فأين العجب في أين يكون الله مثلث الأقانيم .

فما هو تعليم الثالوث ؟ هل يعني آلهة أو يعني إله واحد لا شريك له ولكن مثلث الأقانيم ؟

إن جميع التعاليم المسيحية تؤكد حقيقة واحدة ، وهي أن الله واحد ، ولكن في ذات الإله الواحد أقانيم : الاب والابن والروح القدس ، وهذه الاقانيم الثلاثة إله واحد في الجوهر ، وفي مساواة في القوة والمجد .

من الامور الجوهرية في الايمان المسيحي أن الله واحد ، وأنه مركب ففي شخصه المجيد العظيم ثلاثة أقانيم ، وكل أقنوم من الاقانيم هو الله ، والاله المثلث الاقانيم شئ يفوق العقل البشري الذي لوثنه الخطية ، وهو بالنسبة لغير المؤمنين تناقض ، ولكن الكتاب المقدس – وهو الاعلان الكامل عن الذات الالهية – يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الذات الالهية واحد وليس ثلاثة ، ولكن الذات الالهية مركبة .

والاله المثلث الاقانيم لا يوجد إلا في اليهودية والمسيحية ، والتثليث موجود حولنا في الكثر من الاشياء المخلوقة ، وخاصة في الانسان الذي سبق وذكرنا انه مثلث الكيان علي شبه خالقه ، فهو : روح ونفس وجسد ، ولكن الثالوث الالهي يفوق كل التشبيهات والصور المجازية .

وتاريخ الاعلان الالهي هو الذي عليه تقوم عقيدة الثالوث وهي ليست عقيدة فلسفية علي الاطلاق ، ولكن حقيقة كتابية بارزة في ثنايا الوحي .

وعقيدة الثالوث الكتابية يمكن وضعها في اربع قضايا :

- (١) الله واحد .
- (٢) يسوع هو الله .
- (٣) الروح القدس هو الله .

د. القس وديع ميخائيل .. عقيدة الثالوث

(٤) هذه الاقانيم الثلاثة في علاقة موضوعية في الذات الالهية .

الله واحد :

سبق أن أبتنا علي آيات من الوحي الالهي تؤكد وحدانية الله ، ونضيف هنا آيات أخرى تؤكد نفس الفكر :

" أنا الرب – يهوه – وليس آخر . لا اله سواي نطقتك وانت لم تعرفني لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري . أنا الرب وليس آخر " أشعيا ٤٥ : ٥ ، ٦ .
" تعب مصر وتجارة كوش والسبئيون .. يتضرعون قائلين فيك وحدك الله وليس اخر . ليس إله .. لأنه هكذا قال الرب خالق السموات والأرض هو الله – يهوه – مصور الأرض وصانعها هو قررها . لم يخلقها باطلاً . للسكن صورها . أنا الرب – يهوه – وليس آخر " أشعيا ٤٥ : ١٤ ، ١٨ .
" اذكروا الأوليات منذ القديم . لأنني أنا الله وليس اخر . الإله وليس مثلي " أشعيا ٤٦ : ٩ .

شهادة العهد الجديد :

الآيات السابقة كلها وردت في العهد القديم ، فما هي شهادة العهد الجديد عن الله الواحد . إن وحدة الذات الإلهية يؤكدتها العهد الجديد تماماً كما يؤكدتها العهد القديم وهذا في تزاوج مباشر لألوهية المسيح .
" فمن جهة أكل ما ذبح للأوثان نعلم أن ليس وثن في العالم ، وأن ليس إله آخر إلا واحداً . لأنه إن وجد ما يسمى آلهة سواء كان في السماء أو علي الأرض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون . لكن لنا إله واحد الاب الذي منه جميع الأشياء ونحن له . ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به " ١ كورنثوس ٨ : ٤ – ٦ .
" جسد واحد وروح واحد كما دعيتهم أيضا في رجاء دعوتكم الواحد . رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة إله وآب واحد لكل الذي علي الكل وفي كلكم " أفسس ٤ : ٤ – ٦ .
" أنت تؤمن أن الله واحد . حسناً تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون " يعقوب ٢ : ١٦ .

استنتاج :

عقيدة وحدة الله لها جانبان من أهم واطخر الجوانب ، وبالرغم من كل المشاكل والصعاب نحن نعرف أنه لا يوجد غير خطة واحدة ، وغرض واحد ، وعقل واحد ، وهدف واحد

د . القس وديع ميخائيل .. عقيدة الثالوث

لكل الشياء ، إلا أن تعدد الآلهة يعكس انفصاماً عقلياً من الخطية والظلمة ، لكن التوحيد يخلق عقلاً موحداً في الإيمان ، يرى عمل الهدف الواحد في كل شئ .

يسوع هو الله :

حين رأى توما الشكاك الرب المقام صرخ " ربي والهي " يوحنا ٢٠ : ٢٨ ، والكلمة " الهي " الواردة في هذه الآية هي الكلمة اليونانية (ho theos) وهي تؤكد أن التلاميذ الأولين كانوا يؤمنون إيماناً مطلقاً بأن يسوع هو الله بكل ما في الكلمة من معني دون تحفظ أو تردد والرسول بولس يصف القديسين وهم "منتصرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح " تيطس ٢ : ١٣ ، ومن الواضح في هذه الآية أن اسم الله ينطبق علي يسوع لعدة أسباب : منها الناحية اللغوية في اللغة اليونانية ، وثانيها أنه من الواضح في كل العهد الجديد أن المسيح هو الذي ينتظر ظهوره المجيد جميع المؤمنين ، فالمسيح يسوع هو إلهنا العظيم ومخلصنا .

وبصيغة مشابهة يشير بطرس الي الذين نالوا إيماناً " ببر الهنا والمخلص يسوع المسيح . لتكثر لكم النعمة والسلام بمعرفة الله ويسوع ربنا " ٢ بطرس ١ : ١ ، ٢ ، وأشار بولس إلي المسيح بالكلمات أنه " الكائن علي الكل الها مباركاً إلي الأبد " رومية ٩ : ٥ ، وقد قامت محاولات عديدة لتغيير هذه الآية ، ولكن الامانة تستدعي فهم الآية كما وردت في صيغتها الحالية ، والتي تؤكد أن بولس أشار إلي يسوع كالله في لغة واضحة .

مرة أخرى يشير بولس الي " نعمة الهنا والرب يسوع المسيح " ٢ تسالونيكي ١ : ١٢ ، ويعلم بولس أنه " لابد اننا جميعاً نظهر امام كرسي المسيح " ٢ كورنثوس ٥ : ١٠ ، ونفس الفكر معبر عنه في رومية ١٤ : ١٠ في الكلمات وردت في احدي النسخ هكذا " لأننا جميعاً سوف نقف امام كرسي الله " ، ولاشك أن بولس كان في ذهنه كلمات المسيح التي تعني أن الله اعطي كل الدينونة للابن (يوحنا ٥ : ٢٢) وهكذا نجد أن الاسمين المسيح والله يتبادلان في ذهن بولس .

يسوع هو يهوه :

ويسوع لا يدعي الله فقط في العهد الجديد، ولكنه يدعي (الرب) في اشتقاقات من العهد القديم حيث نجد كلمة العهد القديم حيث نجد كلمة العهد القديم هي (يهوه) ففي نبوة زكريا (لوقا ١ : ٧٦) نقرأ عن يوحنا المعمدان " وانت ايها الصبي النبي العلي تدعي لانك تتقدم امام وجه الرب لتعد طريقه " ، ومن الواضح أن لوقا فهم أن هذه النبوة تشير الي يوحنا كسابق ليسوع ، إلا أن زكريا كان يلمح (الرب) هي يهوه " ها انذا ارسل ملاكي فيهيئ

الطريق أمامي ويأتي بغتة الي هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به هوذا يأتي قال رب - يهوه - الجنود "

وبولس يعطي تأكيداً لنبوة يوثيل " وكل من يدعو باسم الرب يخلص " رومية ١٠ : ١٣ ، ومن الواضح في القرينة أن بولس يدعو المسيح (البر) ، إلا أن العبارة في يوثيل تقول " ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو " يوثيل ٢ : ٣٠ ، وكلمة (الرب) في الأصل العبري هي (يهوه) ، وفي رومية ١٤ : ١٠ حيث محاكمة القديسين أمام كرسي المسيح ، يضيف بولس اشتقاقاً من اشعيا ٤٥ : ٢٣ " بذاتي أقسمت خرج من فمي الصدق كلمة لا ترجع إنه لي تجثو كل ركبة يحلف كل لسان " وواضح من العديدين ٢٤ ، ٢٥ أن (يهوه) هو المتكلم ، وهذه العبارات تؤكد أن المسيح والله ويهوه واحد .

المسيح ابن الله :

دعي المسيح " بان الله " عشرات المرات في العهد الجديد ، والآية التي تفتح لنا معني هذه " التسمية" موجودة في انجيل يوحنا ٥ : ١٧ ، ١٨ " فاجابهم يسوع ابي يعمل حتى الان وانا اعمل من اجل هذا كان اليهود يطلبون اكثر أن يقتلوه . لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال ايضا أن الله ابوه معادلاً نفسه بالله " وفي الاستخدام اليهودي للكلمة " ابن .. " لا تعني عادة التبعية أو المقام الاقل ، ولكنها تعني اكثر المساواة والتطابق والوحدة في الطبيعة ، وسمى (باركوكبا) الذي قاد الثورة اليهودية (١٣٢ - ١٣٥) بعد الميلاد أثناء حكم (هدريان) " ابن كوكب الصبح " ، وقد اخذ هذا الاسم لكي يطبق علي نفسه أو يشير الي انه هو نفسه " النجم أو الكوكب " المتنبأ عنه في سفر العدد ٢٤ : ١٧ ، والاسم " ابن التعزية" في سفر الأعمال ٤ : ٣٦ وحسب الترجمة العربية " ابن الوغظ" يعني " المعزي أو المواسي" ، كذلك الاسم الذي اطلقه المسيح علي يوحنا وأخيه " ابني الرعد " مرقس ٣ : ١٧ فهو يعني " الرجال الرعد " ، و " ابن الانسان" وخاصة الذي يطبق علي المسيح كما ورد في دانيال ٧ : ١٣ ، ودعي بهذا الاسم كثيراً في العهد الجديد ويعني في جوهره " الانسان الممثل " أي الذي يمثل الانسان ، وهكذا حين يقول المسيح " اني ابن الله " كان يفهم من معاصريه بأنه يعلن عن نفسه أنه " الله " المساوي للاب بصورة لا شك فيها .

إعلانات من السماء :

والمناسبات التي اعلن فيها من السماء بان المسيح هو ابن حسب ما جاء في الانجيل لها دلالة كبرى .

- (١) عند معموديته " وللوقت وهو صاعد من الماء رأي السموات قد أنشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه . وكان صوت من السموات : أنت الحبيب الذي به سررت " (مرقس ١ : ١٠ ، ١١ قارن متى ٣ : ١٦ ، ١٧ ، لوقا ٣ : ٢١ ، ٢٢ ، يوحنا ١ : ٣٢ - ٣٤) .
- (٢) علي جبل التجلي " وفيما هو يتكلم اذا سحابة ظللتهم وصوت من السحابة قائلاً هذا هو ابني الحبيب لاذي به سررت " (متى ١٧ : ٥ قارن مرقس ٩ : ٧ ، لوقا ٩ : ٣٥ ، ٢ بطرس ١ : ١٧) .
- (٣) وفي احدي المناسبات التي كان يلقي فيها بتعاليمه ، وقبل الصليب بمدة قصيرة قال يسوع " الان نفسي قد اضطربت . وماذا اقول ؟ ايها الاب نجني من هذه الساعة . ولكن لاجل هذا أتيت الي هذه الساعة ايها الاب مجد اسمك " حينئذ جاء صوت من السماء يقول " مجدت وامجد ايضا " (اقرا يوحنا ١٢ : ٢٧-٣٩) ونحن لا نجد كلمة " ابن " في الكلام السابق ، إلا أن العلاقة الابوية واضحة جدا في الكلمات التي خاطب بها يسوع " الاب " .

مساواة جوهرية وخضوع تدبيري :

في كلمات الرب يسوع المسجلة كانت النبوة الالهية تعني علاقة مساواة مطلقة ، وكل اشارة الي خضوع الابن للاب فهي تدل علي خضوع وظيفي في تدبير برنامج الفداء الالهية ، ومن الضروري جدا أن نميز بين التدبير أو الخضوع الوظيفي والمساواة المطلقة ، فحين قال المسيح " ابي اعظم مني " يوحنا ١٤ : ٢٨ ، كذلك حين قال " أنا لا اقدر أن افعل من نفسي شيئاً " يوحنا ٥ : ٣٠ ، فلا بد أن نفهم أن هذه العبارات تشير الي تدبيره الخضوعي في " ايام تجسده " ولكن حين قال " لان الاب لا يدين احدا بل قد اعطي كل الدينونة للابن . لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الاب . من لا يكرم الابن لا يكرم الاب الذي ارسله " يوحنا ٥ : ٢٢ ، ٢٣ وقال ايضا " أنا والاب واحد " يوحنا ١٠ : ٣٠ ، فلا بد أن يكون من الواضح في هذه العبارات اننا نتعامل مع العلاقة الجوهرية في المساواة ، وهذا المبدأ يتأكد أكثر في رسالة يوحنا الأولى " من هو الكذاب إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح . هذا هو ضد المسيح . الذي ينكر الاب والابن . كل من ينكر الابن ليس له الاب ايضا ومن يعترف بالابن فله الاب ايضا " ١ يوحنا ٢ : ٢٢ ، ٢٣ .

معني المولود !!

باي معني كان المسيح " مولوداً " ؟

(١) الولادة من عذراء : واضح من السجل المقدس عن ولادة العذراء أن المسيح ابن الله الازلي صار انسانا بمعجزة الولادة من الروح القدس ، واعتقد أن ترجمة اوضح لما ورد في لوقا ١ : ٣٥ ينبغي أن تكون هكذا " الروح القدس سيأتي إليك وقوة العلي تظلك فلذلك ايضا المولد منك سيدعي القدوس . وهو ابن الله " (وهذا يتفق مع القول بان التعبير " ابن الله " لم يشر ابا الي الميلاد من العذراء ، ولكن في علاقته الازلية ومساواته بالاب) . وفي متى ١ : ١٨ يقال أن المسيح " حبل به من الروح القدس " ، والتعليم الكتابي مختصر في قانون الايمان " حبل به من الروح القدس . مولود من العذراء مريم " فالولادة من عذراء كانت معجزة عملها الاقنوم الثالث في الذات الالهية ، بينما الاقنوم الثاني – ابن الله الازلي – اخذ لنفسه طبيعته بشرية ، وهكذا اصبح " إنساناً " وبهذا المفهوم ولد المسيح في سياق التاريخ البشري في وقت وزمان معينين ، وهذه الولادة ليست اصل وجوده ، فوجود المسيح الازلي واضح في كل الكتاب المقدس .

(٢) دعى المسيح " البكر " أو " البداية " (كولوسي ١ : ١٨ ، رؤيا ١ : ٥) وهذا المجاز يعني أن المسيح هو أول من قام من الاموات بشكل خالد ، فاخرون قاموا من الاموات مثل لعازر ، واعيدوا الي الحياة الجسدية الطبيعية ، لكن المسيح هو أول من قام ولم يموت ولن يموت بعد .

(٤) في مزمور ٢ : ٧ نجد الكلمات " اني اخبر من جهة قضاء يهوه قال لي – يهوه – انت ابني أنا اليوم ولدتك " وهذه الكلمات اعلانية واستكشافية ولا تشير ابا الي ولادة حرفية بمعنى بداية حرفية لوجود الشخص وهذا ينبغي أن يكون واضحا لعدة اسباب :

- (أ) صورة المسيا في المزمور الثاني موضوعة في اطار تنويج ملك .
- (ب) الملك شخص موجود قبل التصريح الاعلاني " انت ابني " .
- (ج) هو شخص سوف يقيمه الله كالملك علي صهيون جبل القدس (ع ٦)
- (د) لهذه الاسباب واسباب أخرى ينبغي أن نفهم هذه الكلمات " أنا اليوم ولدتك " لا بصورة حرفية أي " هذا اليوم أنا اوجدتك " ولكن نفهمها بصورة مجازية " هذا اليوم أنا صرحت واصلت انك انت ابني " .

ومع هذا التفسير يتفق الكثير مما ورد في العهد الجديد حيث نجد مزمور ٢ : ٧ ، فبولس وهو يعظ في مجمع بيسيدية انطاكية قال " ونحن نبشركم بالموعد الذي صار لابائنا . أن الله وقد اكمل هذا لنا نحن اولادهم اذ اقام يسوع كما هو مكتوب ايضا في المزمور الثاني

انت ابني أنا اليوم ولدتك " أعمال ١٣ : ٣٢ ، ٣٣ ، فمن الواضح اذن أن بولس اتبر قيامة يسوع من الاموات كجزء واضح للمعني المعلن في مزمور ٢ : ٧ .

وبولس يعبر عن نفس الفكر بطريقة مختلفة في رومية ١ : ٣ ، ٤ " وتعين - أعلن - ابن الله بقوة من جهة روح القدس - الروح القدس - باققيامة من الاموات . يسوع المسيح ربنا " وهنا الفكر واضح للغاية أن القيامة هي اعلان عن بنوة المسيح الازلية .

وبالنسبة لصيغة الجمع الواردة في الاية لكلمة " القيامة من الاموات " وهي في الأصل " قيامة الاموات " هل كان بولس يفكر في ربط قيامة المسيح بقيامة اخرين في نفس الوقت كما هو معلن في متى ٢٧ : ٥١ - ٥٤ ؟ علي أي حال يمكن ربط هذه الكلمات بما ورد في سفر الأعمال ١٧ : ٣١ ، ٣٢ ليتضح المعني المراد ، وخاصة من موقف الذين سمعوا بولس فان بعضهم سخر من الكلام عن قيامة الاموات ، والبعض قال سنسمع منك فيما بعد عن هذا الامر ، ونفس الكلمات مستخدمة ثانية في ١ كورنثوس ١٥ : ١٢ " ولكن أن كان المسيح يكرز به انه قام من الاموات فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة اموات " .

ومهما كانت الصيغة التي استخدمها بولس في حديثه عن القيامة ، إلا أنه اعتبر قيامة المسيح اعلانية عن بنوته الالهية الازلية بنفس المعني الذي وردت به في مزمور ٢ : ٧ والتي فسرها بولس في حديثه في أعمال ١٣ : ٣١ ، ٣٢ .

وكاتب الرسالة الي العبرانيين يشتق مزمور ٢ : ٧ مرتين كصيغة اعلانية عن بنوة المسيح الازلية المجيدة دون أن يلصق التمجيد بحادثة معينة ، ففي الاصحاح الأول نقراً " لمن من الملائكة قال قط انت ابني أنا اليوم ولدتك " . عب ١ : ٥ ، بعد ذلك وهو يتحدث عن رئيس الكهنة يقول كاتب العبرانيين " ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة - رئاسة الكهنوت - بنفسه بل المدعو من الله كما هرون ايضا . كذلك المسيح ايضا . لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة . بل الذي قال له انت ابني أنا اليوم ولدتك . كما يقول ايضا في موضع اخر انت كاهن الي الأبد علي رتبة ملكي صادق " عب ٥ : ٤-٦ .

وهكذا ند أن المعني في الكلمات " أنا اليوم ولدتك " الواردة في مزمور ٢ : ٧ ، كما هي مفسرة في العهد الجديد ليست ولادة حرفية بأي صورة من الصور ، ولكنها اشارة الي الاعلان الله عن البنوة الازلية ، وخاصة فيما يتعلق بقيامة المسيح من الاموات .

(٥) الكلمة " بكر " قيلت عن المسيح عدة مرات في العهد الجديد ، ففي لوقا ٢ : ٧ تشير الكلمة إلي ولادته من عذراء ، وفي كولوسي ١ : ١٥ ، ورؤياه ١ : ٥ قيل عنه " بكر من الاموات " وهذه كلها واضحة كل الوضوح لا تحتاج الي تعليق .

وفي رومية ٨ : ٢٩ نقرأ " لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكرأ بين اخوة كثيرين " ومرة أخرى نقرأ في عبرانيين ١ : ٦ " وأيضاً متى ادخل البكر الي العالم يقول ولتسد له كل ملائكة الله " ، في هاتين الايتين تعني كلمة " البكر " ذاك الذي له المقام الاسمي ، والذي له كل حقوق وامتيازات " البكر " ، وفي الاستخدام اليهودي يشغل البكر المكان الاسمي والابرز ، وهذا التفسير يتفق تماماً مع المعني الوارد في رومية ٨ : ٢٩ ، وعبرانيين ١ : ٦ ، ووليس في هاتين الايتين أي فكر أو افتراض عن أن المسيح قد " ولد " أو " خلق " باي صورة حرفية ، وليس هناك ادني اشارة الي أن لذاته أي بداية فهو ببساطة الواحد الذي له المكان الاسمي ، والذي له حقوق البكورية في برنامج الله الازلي وهناك اية أخرى نجد فيها نفس هذا المعني وهي موجودة في كولوسي ١ : ١٥ حيث نجد المسيح " بكر كل خليفة " ، وكل دارسي الكتاب المقدس يأخذون معنى هذه الكلمات للدلالة علي انه - له كل المجد - " البكر " بنفس المعني المطبق علي شخصه في رومية ٨ : ٢٩ ، وعبرانيين ١ : ٦ ، ويمكن وضع الاية الواردة في كولوسي ١ : ١٥ - حسب الترجمة الحرفية للاصل اليوناني - كالآتي : " هو الأصل الذي خلق كل خليفة " وهذا هو نفس الفكر الموجود في انجيل يوحنا ١ : ٣ ، وعبرانيين ١ : ٢ والتي فيهما تتأكد صفة المسيح كالخالق .

وكثيرون يعترضون علي تفسير كولوسي ١ : ١٥ علي أساسان الكلمة المستخدمة " بكر " تعني أن امراة ولدت طفلاً من جسدها الشخصي ، ولكن هذا الاعتراض مردود عليه ، فالخليفة في عبرانيين ١١ : ٣ يقال عنها " بالايمان نفهم أن العالمين اتقنت بكلمة الله " والكلمات الواردة في كولوسي ١ : ١٥ نجد العبارة التي تليها تشرحها شرحاً وافياً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض فنقرأ " فإنه فيه - به by - خلق الكل ما في السموات وما علي الأرض ما يرى وما لا يرى ساء كان عروشاً أم سيادات امر رياسات ام سلاطين . الكل به وله قد خلق " كولوسي ١ : ١٦ .

معني الابن الوحيد :

والان نأتي الي تعبير هام " الابن الوحيد" والذي قيل عن الرب يسوع المسيح ، وفي الترجمة الانجليزية نجد هذا التعبير هكذا " الابن الوحيد المولود " (begotten) ويشار الي الرب يسوع بأنه الذي مجده " كما لو حيد من الاب مملوءاً نعمة وحقاً " يوحنا ١ : ١٤

والاية الشهيرة والمعروفة يوحنا ٣ ١٦ نجد بها نفس التعبير " ابنه الوحيد " ، وكرر التعبير في نفس الاصحاح في العدد (١٨) وفي نفس القرينة ، وهذا التعبير تكرر في (يوحنا ٤ : ٩) " بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله أرسل ابنه الوحيد إلي العالم لكي نحيا به " وهذا التعبير ورد في الأصل هكذا (monogenes son) وهي تعني نم نفس الفصيلا أو احادي الأصل .

ويبدو أن الاباء حين قامت بدة اريوس ، استخدموا هذه الكلمة التي تعني " مولود " وكان هذا في القرن الرابع للرد علي ما كان يقول به اريوس أن المسيح " مخلوق " ، وحيث أن الاباء لم يكن عندهم الامكانيات لاثبات أن الكلمة (مونوجينس) التي أستند عليها اريوس لا تعني ما وصل اليه من تفسير ، وان الكلمة لا علاقة لها بالولادة باي شكل فذكروا في قانونهم الايماني " لم يكن هناك وقت لم يكن المسيح فيه " وبناء عليه قبلوا كلمة " مولود " ولكنهم أضافوا إليها " غير مخلوق " .

ومن القرن الرابع الميلادي قبل الاباء أن الابن المولود هو من الازل وليس حادثة في الزمان وقد قبلت هذه الفكرة وتغلغلت في اللاهوت المسيحي منذ القرن الرابع ، ويقول اللاهوتي الكبير (تشارلس جورج) " الابن مولود من الاب " ، ومعلن انه ابن الله الوحيد ، والعلاقة بين الاقنوم الثاني والاقنوم الاول هي البنوية الازلية والمساواة الكاملة في الجوهر

والمعني العليمي للكلمة (مونوجينس) هو (الواحد الوحيد من نوعه) او بعبارة أخرى (الفريد) والتي جاءت بالعبارة " الابن الوحيد " في كتابنا المقدس .

وبعد ان تأملنا في معني " مولود " والمستخدمه عن المسيح في عدة آيات كتابية نستطيع ان نقول بكل يقين ان الكتاب المقدس بعيد كل البعد عن أي تفسير لا يتفق مع العلاقة البنوية الازلية بين الاب والابن .

لقد قدمنا البرهان الكافي فيما سبق لمعني العبارة " ابن الله " وان " الاب والابن والروح القدس القدس " هي كلمات يقصد بها كتبة الوحي المقدس " الاشارة الي العلاقة الازلية في الثالوث ، وكل ما علينا هو أن نحتفظ بالمعني الغني في معني البنوية بعباً عن التعليم غير الكتابي لهذه العلاقة الازلية ، فالابن في المكتوب ليس " مولوداً " بالمعني الحرفي وبالتالي ليس هو أقل مرتبة او ادني مقاماً باي شكل من الاشكال ، وحين يقول يسوع عن نفسه أنه

" ابن الله " ويدعي ان الله ابوة ، فهذا يعني في اللغة التي فهم بها هذا المعني انه " يعادل نفسه بالله " (يوحنا ٥ : ١٨) فالكلمتان " الاب والابن " يعنيان علاقة شخصية في الثالوث الازلي ، دون ان يتضمن هذا المعني أي شكل من اشكال " الانجاب " الحرفي . او أي خضوع من الادني للارفع .

ذات الجوهر :

اتفق كل اللاهوتيين علي ان الاقانيم الثلاثة واحد " في الجوهر وفي مساواة كاملة في القوة والمجد " وهذا الفكر مؤسس علي عبارات كتابية مثل تلك التي وردت في الرسالة الي العبرانيين ١ : ٣ " رسم جوهره " فالرب يسوع المسيح قيل عنه انه " رسم جوهر الله " .

لكن ما هو الجوهر ؟

لكي نجيب علي هذا السؤال لسنا في حاجة ابدأ الي الدخول في متاهات فلسفية ، بل اننا نتوخي البساطة بقدر ما نستطيع ، ولذلك نجيب ان " الجوهر " هو – بكل دقة اللغة – هو ذات الشئ الذي نتكلم عنه ، فاذا قلنا جوهر الله فهذا معناه ما هو الله ذاته ، والرب يسوع المسيح اعلن عنه انه رسم جوهر الله ذاته ، وكما يقول جسدياً " كولوسي ٢ : ٩ .

الروح القدس هو الله :

والوهية الروح القدس ومساواته بالاب والابن وانه ذات الجوهر ، وله القوة والمجد كالاب والابن فواضح في كل ثنايا الكتاب المقدس ، والارشادات الواردة في انجيل يوحنا عن الروح القدس تكفي لأن توضح الامر وضوحاً لا يحتاج الي تعليق ، واول ذكر للروح القدس في الانجيل الرابع يوجد في الاصحاح الاول " وشهد يوحنا – المعمدان – قائلاً اني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء واستقر عليه . وانا لم اكن اعرفه لكن الذي ارسلني لاعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس . وانا قد رايت وشهدت ان هذا هو ابن الله " يوحنا ١ : ٣٢ – ٣٤ .

والفكر في هذه الاعداد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما جاء في رسالة كورنثوس الاولي " لأننا جميعاً بروح واحد ايضاً اعتمدنا الي جسد واحد .. وجميعنا سقيناً روحاً واحداً " ١ كورنثوس ١٢ : ١٣ ، وفي هذه الكلمات نرى ان الروح القدس قورن بقوة الله المحيية

والمنعشة تحت مجاز ماء المعمودية ، ومياه الشرب و " مثل حمامة " فيما رآه المعمدان ساعة معمودية المسيح نرى الصورة الرمزية للوداعة غير المتفخرة لعمل الروح القدس .

وقوة الروح القدس في اعطاء الحياة نجدها مركزة في حديث المسيح مع نيقوديموس : " اجاب يسوع الحق الحق اقول لك ان كان احد لا يولد من الماء والروح لا يقدر ان يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح . لا تتعجب اني قلت لك ينبغي ان تولدوا من فوق . الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من اين تأتي ولا الي اين تذهب . هكذا كل من ولد من الروح " يوحنا ٣ : ٥ - ٨ ، فبواسطة الروح القدس مانح الحياة تتم معجزة الولادة الجديدة .

(واعطاء الكنيسة الروح القدس يوم الخمسين لعمل البرنامج المرسلي لهذا الزمان - زمان النعمة - مناظر ومشابه تماماً لاعطاء الروح القدس في سيناء لاقامة شهادة الله بين الامم في العالم القديم . وتنبؤ السبعين شيخاً الذين كانوا مع موسى ، والاثنين اللذين بقيا في المحلة ، والاعلانات الروحية الاخرى المذكورة في الاصحاح (١١) من سفر العدد مشابهة لانسكاب الروح القدس ومعجزة الالسن في يوم الخمسين) .

وفي خطاب الرب يسوع الوداعي نجد الكثير عن خدمة الروح القدس " ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي . وانا اطلب من الاب فيعطيك معزياً آخر ليمكث معكم الي الأبد . روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه ، واما انتم فتعرفونه لأنه ماكنث معكم ويكون فيكم " يوحنا ١٤ : ١٥ - ١٧ .

وفي هذه الكلمات نرى الحضور الشخصي للروح واضحا للغاية ، وحضوره غير المنظور هو لأن ياخذ مكان الحضور المنظور ليسوع بين تلاميذه ، وسيكون هذا الحضور " الي الأبد " .

وهناك فكر متعارف عليه ، واستقر في الازهان مؤسس علي عدم فهم للاعداد السابقة من يوحنا (١٤) وهو أن الروح القدس منذ يوم الخمسين يسكن " في " المؤمنين ، بينما سكن في العهد القديم " مع " أو " علي " من شاء لكن الحقائق لا تساند هذا الفكر ، فالروح سكن " في " يشوع (عدد ٢٧ : ١٨) ، وقيل عن اسرائيل تحت قيادة موسى أن الله " جعل في وسطهم - في داخلهم - روح قدسه " أشعيا ٦٣ : ١١ كذلك في (حجي ٢ : ٥) نجد أن الأصل العبري هو "في" ، الروح القدس كحضور شخصي ، هو كما كان دائماً سوف يكون في وسط شعب الله ، في قلوبهم وعقولهم .

ويستمر يسوع في خطابه الوداعي ويقول " بهذا كلمتكم وانا عندكم . واما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الاب باسمي فهو يعطيكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم " يوحنا ١٤ : ٢٥ ، ٢٦ ، وهنا أيضا الحضور الشخصي للمسيح مع تلاميذه يشغله الروح القدس بحضوره الشخصي ، ويعد بأن يكون له خدمة التعليم والتذكير .

ونجد أيضاً في خطابه الوداعي هذه الكلمات " ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا اليكم من الاب روح الحق الذي من عند الاب ينبثق فهو يشهد لي " يوحنا ١٥ : ٢٦ ، وهذه الكلمات في جوهرها تأكيد مضاعف لما سبق وقاله من قبل ، وفي القرينة الروح القدس ينبثق من الاب وهذا مواز يسوع للاب ، وكلمة ينبثق لا علاقة لها بالعلاقة الازلية بين الاب والابن والروح ، والمعني المراد ببساطة هو مجيء الروح القدس من السماء في الكلام عن حضور الله في كل مكان وضح لنا بالاشارات الكتابية عن الله كمن " يأتي " أو " يذهب " (فيما عدا الحضور الجسدي المنظور للمسيح) فهذه الاشارات لا تعني أي حركة من مكان آخر لأن الله كروح موجود في كل مكان ، وحين قال أشعيا " ليتك تشق السموات وتنزل " أشعيا ٦٤ : ١ ، ترينا القرينة أنه - أشعيا - كان يعرف أن الله معه في خدمته ، ولكنه كان يصلي لاعلان خاص ، وهكذا عن القول أن الروح القدس " يأتي " كما فعل في يوم الخمسين لا يمكن أن يعني بدقة وكأنه لم يكن موجوداً فعلاً مع شعب الله هنا علي الأرض .

والمسيح في حديثه الوداعي ، كما في خدمته السابقة تنبأ " بمجيء " الروح القدس يوم الخمسين ، ولكن كلامه لم يتضمن أن الروح لم يكن فعلاً هنا ، ولكنه كان يعني أن الروح القدس سوف يأتي بإعلان عظيم واضح ، وفي حدث واضح به يبدأ البرنامج المرسلي للرب لهذا الزمان ، كما بدأ الروح القدس شهادة شعب الله في سيناء . فيصح إذن أن نقول أن الروح القدس " جاء من السماء " ، ولكن من الخطأ أن نتصور مجيئه كحركة من مكان الي آخر ، ولكن مجيئه يعني اعلانا خاصا لحضوره .

وختام التعليم عن الروح القدس في انجيل يوحنا موجود في الاصحاح (١٦) حيث نقرأ " ولم أقل لكم من البداية لاني كنت معكم . واما الان فانا ماض الي الذي ارسلني وليس أحد فيكم يسألني اين تمضي . ولكن لاني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم . لكني اقول لكم الحق انه خير لكم أن انطلق لأنه أن لم انطلق لا يأتاكم المعزي . ولكن أن ذهبت ارسله اليكم " يوحنا ١٦ : ٥ - ٧ ، ولا بد لنا أن نتوقف لنسأل ما معني " ذهاب " المسيح في هذه الاعداد ، والمعني ليس هو صعوده ، فهذه الكلمات قد قيلت في الليلة التي قيل الصلب وليس عندي شك أن يوحنا كان يقصد حين كتب هذه الكلمات متذكراً حديث المسيح - كان يقصد في المقام الأول صلبه الذي كان نهاية الوجود الاعتيادي المرئي والشركة مع المسيح

التي كانت لهم – تلاميذه – وبمعني آخر " أنا ماض " في هذه القرينة بالذات تعني " اني انهي عملي وامضي " لذلك يكون من حقنا أن نقول أن " مجيء الروح القدس " المشار اليه هنا متوقف علي كمال عمل المسيح – أي الصليب ، والقيامة ، والاربعون يوماً ، والصعود فإذا لم يكمل المسيح خدمته الارضية ، فالروح القدس ما كان " ليأتي " أبداً .

ولكن هذه الحقيقة لا ينبغي أخذها بصورة ضيقة ، لأنه من الواضح أيضا انه أن لم يكن من المؤكد كمال عمل المسيح فما كان للروح القدس أن يأتي الي انبياء العهد القديم ، وان لم يكن عمل المسيح الكامل المؤكد في مشورات الله الازلية ، فروح الله ما كان يمكن أن يعلن ، فالاعلان يوم الخمسين ، والاعلان في سينااء كله من نعمة الله ، وكله حق الله في كل الازمنة لكن الكل متوقف بصورة جذرية علي عمل المسيح الكامل .
واستمر يسوع في حديثه " ومتى جاء ذاك يبكت العالم علي خطية وعلي بر وعلي دينونة .
أما علي خطية فلانهم لا يؤمنون بي . أما علي بر – تبرير – فلأنني ذاهب الي ابي ولا ترونني ايضا . واما علي دينونة فلان رئيس هذا العالم قد دين " يوحنا ١٦ : ٨ – ١١ .

والكلمات " أما علي بر فلاني ذاهب الي ابي " تؤكد ما قلناه سابقاً " فذاهب " المسيح من وجهة نظر الحديث الوداعي ، تشير الي كمال خدمته الارضية ، وعودته الي يمين الاب .

والعبارة كلها غنية بمضونها .

١ . فحين نكرز بالانجيل لنتأكد ونثق أن الروح القدس نفسه ، بشخصه الالهي سوف سيبكت العالم علي خطية عدم الايمان بالمسيح .

٢ . التبرير متوقف علي العمل الكامل للمسيح .

٣ . الدينونة الأخيرة اتية لا ريب فيها .

والرب هنا ينتخب من ملامح الدينونة الأخيرة – المنبأ عنها في المكتوب – دينونة الشيطان نفسه في النهاية (رؤيا ٢٠ : ١٠) ، والمؤمن لا يعيش " تحت وجهة نظر الابدية " كما علم (سبنيوزا) بأنها أبدية خاضعة للإحصاء ، لكن المؤمن يعيش تحت فكر محدد ، واضح ، ومعلن عن الاحداث المتعلقة بالنهاية ، ولهذا نقول أن الدينونة لابد اتية .

وتستمر كلمات الحديث الوداعي " أن لي اموراً كثيرة ايضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الان ، واما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الي جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بامور اتية . ذاك يمجدني لأنه ياخذ مما لي ويخبركم . كل ما للاب هو لي . لهذا قلت انه ياخذ مما لي ويخبركم " يوحنا ١٦ : ١٢ – ١٥ .

وليس هناك اوضح من هذا في الاشارة الي الارشاد الذي سيقوم به الروح الالهي لشعب الرب ، كما وعدهم .

والعبارة " لأنه لا يتكلم من نفسه " تشير الي التبرير الالهي المذكور عدة مرات في المكتوب والذي علي اساسه نرى أن اوقات الاحداث الآتية هي خاصة بالله الاب (أعمال ١ : ٧) ، والكلمات " ذاك يمجدي " تشير الي وجه التبرير الالهي الذي فيه يظهر التعامل بين الناس والاقنوم الثاني في الثالث .

والاعلان عن الامور الآتية ، والارشاد الخاص الموعود به في الاعداد السابقة يفهما كل دارس للكتاب علي انها عمل الروح القدس في الوحي لكتبة العهد الجديد ، والوعد العام بالارشاد هو لكل الكنيسة .

وأخيراً ، وبعد القيامة ، من الواضح أنه في عشية يوم القيامة ظهر يسوع لتلاميذه وقال " كما ارسلني الاب ارسلكم أنا . ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهم تغفر له . ومن امسكتم خطاياهم امسكت " يوحنا ٢٠ : ٢١ - ٢٣ .

والفكر الرئيسي في هذه الكلمات أن تلاميذ المسيح علي الأرض ليس لهم قوة في ذواتهم ، ولكن القوة في الروح القدس ، فهم يكرزون بالانجيل ، وتقبل النفوس الغفران الموعود به في الانجيل .

نحن ندرس الان علاقة الروح القدس في الثالث ، والغرض من ذكر كل الايات السابقة انما لكي نرى انه حتى قبل يوم الخمسين قبل تلاميذ المسيح الروح القدس ، وتأكدوا من حضوره معهم في خدمتهم التبشيرية .

وعمل النفخ هو رمز لاعطاء الروح القدس وهو طريقة تصويرية لتقديم حق خفي ، وقارن الروح الذي اعطي الحياة " للعظام " في حزقيال (٣٧) ، والنفخة الخالقة يوم عمل الله الانسان في تكوين ٢ : ٧ .

والدراسة التي قدمناها عن الروح القدس من الايات الواردة في انجيل يوحنا ترينا بوضوح أن الروح القدس هو الله " مساو للاب والابن في الجوهر " وانه غير محدود وازلي ، وغير متغير في كل صفاته الالهية ، ومتوافق في كل التدابير في خدمته الخاصة في برنامج الفداء الالهي .

ونختم بحادثة تؤكد الوهية الروح القدس ، وهي واردة في سفر أعمال الرسل حيث نقرأ عن حنانيا وزوجته سفيرة ، اللذين باعا ملكاً واختلسا من الثمن وكذبا علي الجماعة " فقال بطرس يا حنانيا لماذا ملاً الشيطان قلبك لتكذب علي الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل ... أنت لم تكذب علي الناس بل علي الله " (أعمال ٥ : ١ - ٤) .

انبثاق الروح القدس :

اعتنقت الكنائس الأولى – الشرقية والغربية – حقيقة الانبثاق الازلي للروح القدس من الاب ، وان كانت الكنائس الشرقية قد اختلفت اختلافاً محدوداً لنفس التعليم ، إلا أن الكل متفق علي حقيقة شخص الروح القدس – الاقنوم الثالث في الذات الالهية – والكل متفق علي أن الروح القدس الازلي ، وليس مخلوقاً بحال ما ، ولم يوجد في الزمان بصورة مؤقتة ، وهو مساو للاب والابن في كل الصفات الالهية .

ويبقى السؤال هل نتمسك بانبثاق الروح الازلي ؟ والواقع أن القيمة الوحيدة في اللاهوت الصحيح ، كما هو واضح في قوانين ايمان الكنيسة الأولى ، هي أن هذا التعريف يعطينا القدرة علي ادراك العلاقة بين الروح القدس والاب والابن ، ففي كل الازل ، والي ابد الابدن الروح القدس ، في الثالوث هو روح الاب وروح الابن .

العلاقة في الثالوث :

رأينا أن الله واحد وان يسوع هو الله ، وان الروح القدس هو الله ، يبقى أن نرى أن الاقانيم الثلاثة – الاب والابن والروح القدس – والذي كل منهم هو الله بكل معني الكلمة ، وهذا واضح من علاقة الفاعل والمفعول بين الاقانيم فيسوع وهو علي الأرض صلي الي الاب ، وتكلم عن الروح القدس كاقنومين في موضع المفعولية ، أي المفعول به – قائلاً " ذاك يمجدي لأنه ياخذ مما لي ويخبركم " يوحنا ١٦ : ١٤ ، والله الاب تكلم من السماء في ثلاث مناسبات .

(١) عند المعمودية يسوع (مرقس ١ : ١٠ قارن متى ٣ : ١٦ ، ١٧) .

(٢) علي جبل التجلي (متى ١٧ : ١٥ قارن مرقس ٩ : ٧ ، ٢ بطرس ١ : ١٧) .

(٣) حين كان يسوع يقدم تعاليمه للجماهير (يوحنا ١٢ : ٢٧ – ٣٩) .

وفي كل هذه المرات كان يعلن الاب عن يسوع انه ابنه الازلي في وضع المفعولية ايضاً ، والروح القدس جاء في ظهور علني خاص يوم الخمسين لكي يؤلف الكنيسة المنظورة .

اظهارات العهد القديم للثالوث :

في الجزء الذي تكلمنا فيه عن وحدة الله كما هي معلنة في العهد الجديد ، جننا بعدة آيات فيها تتأكد وحدة الله بصورة واضحة ، كما اوردنا آيات مساوية تؤكد هي الأخرى الوهية يسوع المسيح ، وهذه الايات تتميز بانها لا تحوي أي تلميح بان كتبة العهد الجديد كانوا مدركين لأي مشكلة في اقتران هاتين الفكرتين وهو أن الله مركب في ذاته وان هناك تميز

اقتنومي في الذات الالهية ، وهذا الأمر لم يشكل أي معضلة لمؤمني القرن الأول للمسيحية

وان شكل هذا الأمر أي معضلة لهم لانعكس هذا في تعاليم العهد الجديد كما حدث مع معضلات أخرى ، فمثلاً : الله كانسان ، أو الله في الجسد ، كان هذا الفكر مشكلة لا حل لها مع من عارضوا المسيح ، وقد فهموا من كلمات " أنا والاب واحد " يوحنا ١٠ : ٣٠ (قارن ايضا يوحنا ٥ : ١٨) أن المسيح كان يدعي انه الله " فتناول اليهود ايضا حجارة ليرجموه " ، وحين سألهم يسوع عن دوافع تصرفهم اجابوا " لسنا نرجمك لاجل عمل حسن بل لاجل تجديف . فانك وانت إنسان تجعل نفسك الها " يوحنا ١٠ : ٣٣ ، فقد وقف يسوع امامهم كانسان له كل مواصفات الحضور الجسدي ، و " طبعاً " الله لا يمكن أن يكون انسانا ، لذلك يعتبر ادعاؤه تجديفاً .

واجاب المسيح من سفر المزامير مزمور (٨٢) مبيناً أن الطبيعة الانسانية والطبيعة الالهية ليستا متضادتين ، فالانسان علي أي حال مخلوق علي صورة الله ، وهكذا في علاقة نسبية مع الله اكثر منه مناقضاً في الطبيعة ، وهكذا ناقشهم يسوع ، فالله في الجسد ليس بالضرورة مستحيلاً ، وادعاؤه يمكن أن يكون حقيقة ، ثم قدم لهم برهانا علي ادعائه من اعمالهم .

وحتى مع هذا النقاش المعقول رفض معارضوه أن يقبلوه " فطلبوا ايضا أن يمسكوه " يوحنا ١٠ : ٣٩ ، فالمشكلة لم تكن التميز الاقنومي في الذات الالهية ، لأن اليهود كانوا مهيين لهذا ، لكن المشكلة كانت الله متضعاً في شكل بشري .. وأليست هذه هي المشكلة للآن ؟

والدارس الجيد للعهد القديم يرى أن الوهية المسيا – المسيح – واضحة للغاية :
فيهوه وعد بارسال المسيا ، واسم المسيا سيكون " الرب – يهوه – برنا " (ارميا ٢٣ : ٥ ، ٦) ، وهذا يعني إن المسيا الذي سيرسله يهوه الله سيكون هو ذاته يهوه الله ، فالمسيا سيكون اسمه " عجبياً مشيراً الها قديراً – الله القدير – ابا ابدياً رئيس السلام .. غيره رب الجنود تصنع هذا " أشعيا ٩ : ٦ ، ٧ ، وان العبارة " الله القدير " تشير بكل تأكيد الي الله فواضح من كلمات اشعيا (١٠ : ٢٠ ، ٢١) .

وكتب داود عن المسيا " قال الرب - يهوه - لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعدائك موطناً لقدميك " مزمو ١١٠ : ١ ، ويسوع يفسر هذه الكلمات في (متى ٢٢ : ٤١ - ٤٦ ، مرقس ١٢ : ٣٥ - ٣٧ ، لوقا ٢٠ : ٤١ - ٤٤) ويثبت ان المسيا هو " رب " داود .

وبهذه الايات في اذهاننا ليس من الصعب ان نفهم كيف ان كاتب الرسالة الي العبرانيين ، ودون احساس منه باي مفارقة تكلم عن موسى انه " حسب عار المسيح غني اعظم من خزائن مصر " (عبرانيين ١١ : ٢٦) وفي النسخة اليونانية القديمة وحتى الطبعة الثالثة والعشرين نقرأ في العدد (٥) من رسالة يهوذا " الرب انقذ الشعب من مصر " ويهوذا كان يدرك ان " الرب " تشير الي يسوع ، وفي متن النسخة اليونانية المشار اليها نقرأ " يسوع انقذ الشعب من مصر " وهذا لا يشكل أي صعوبة إذا وضعنا في اعتبارنا سبق الوجود الالهي للمسيا .

اكتفينا في هذه لعجالة بذكر القليل مما ورد في العهد القديم عن الوهية المسيا الموعود به ، ولكن بعيداً عن العبارات الخاصة بالمسيا نجد من المؤشرات العديدة في العديدة في العهد القديم ان هناك تميزاً في اقانيم الذات الالهية ، فمثلاً في تكوين (١٨ : ١٧) نجد الظهور المبكر (ثيوفاني) الذي ظهر فيه يهوه لابراهيم في صورة منظورة ، وتكلم مع ابراهيم ، وان يهوه - امطر ناراً وكبريتاً من عند الرب - يهوه - علي سدوم وعمورة ، (تكوين ١٩ : ٢٤) واستخدام الاسم الالهي هنا يشير الي التميز الاقنومي .

كما يوجد العديد من الايات التي تتكلم عن " ملاك الرب - يهوه - " وهو ان كان يتميز عن يهوه إلا انه هو ذاته يهوه مطابقاً له ، بعض هذه الايات يمكن الرجوع اليها في (تكوين ١٦ : ١٠ ، ١٣ ، ٢٢ : ١١ - ١٦ ، ٣١ : ١١ ، ١٣ ، خروج ٣ : ٢ ، ٤ ، يشوع ٥ : ١٣ - ١٥ ، ٦ : ٢ ، زكريا ١ : ١٠ - ١٣ ، ١ : ٣ ، ٢) وفي بعض هذه الايات العبارة " ملاك الرب - يهوه - " تبدو في تبادل كامل مع " يهوه " ، أو " اسم " يهوه (خروج ٢٣ : ٢٠ ، ٢١) وحضور ملاك يهوه هو ذاته حضور الرب (خروج ٣٢ : ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٣ : ١٤) قارن أشعيا ٦٣ : ٩) .

وقد تمت ترجمة كلمة يهوه في الترجمة السبعينية الي (كيريوس Kyrios) وبولس يقول " الرب - كيريوس kyrios - هو الروح " ٢ كورنثوس ٣ : ١٧ ، وبذلك نرى ان بولس كان يدرك تماماً ان يهوه هو اسم الروح القدس تماماً مثل اسم الاب والابن والروح القدس - وليس اسماً - الذي به نعتمد ، وينبغي ادراكه كيهوه ، أي باسم الإله المثلث الاقانيم ، والتميز الاقنومي في الذات الالهية مشار إليه بوضوح في العد القديم ، ولم يكن فيه جديد أو صعوبة لليهود الذين دخلوا المسيحية في القرن الأول .

الصور التوضيحية :

(١) تقليدياً :

خلال تاريخ الكنيسة استخدمت عدة توضيحات أو صور لترى اننا حين نقول إن الله واحد ، وان في الإله الواحد ثلاثة اقانيم فنحن لا نناقض انفسنا أو نرتكب " خطأ حسابياً " ، وقد استخدم بعض رجال الله مع غير المسيحيين الصورة التوضيحية للشمس ، التي هي جسم واحد ، ولكنها تبين النور ، والحرارة ، والوقت ، وهذه الصورة ممكن أن تؤكد إن كلمة واحدة يمكن إن تعبر عن شئ واحد من ناحية وفي نفس الكلمة تعبير عن ثلاثة ، إلا إن الصورة التوضيحية لا يجب التعامل بها الي ابعد مما يجب . والماء الذي يوجد في ثلاثة أشكال : سائل ، جامد ، وبخار إلا أن الصورة التوضيحية لا يجب الاعتماد عليها وحدها .

(٢) صور من علم النفس :

(أ) الضمير : هناك توضيح أو في لشيء يمكن إن يحوي ثلاثة في واحد وهو الضمير الذي يمكن إن يكون ثلاثة شهود لحادثة واحدة ، وبطبيعة الحال الشهود محدودون في ذاكراتهم إلا إن أفكار الثلاثة يمكن إن تكون متطابقة ، وعلي أي حال سيكون هناك مجال للتحديد ، فاذا كان الشهود ممن يعتمد عليهم ، فنستطيع القول إن فكر الشاهد (أ) + فكر الشاهد (ب) + فكر الشاهد (ج) ، والمجموع متساو في أي من الأفكار الثلاثة ، وان فكر من الأفكار الثلاثة يحوي المجموع.

(ب) العقل الشخصي المركب : ونحن ندرس علم النفس نجد صوراً توضيحية تساعدنا جداً في دراستنا للثالوث ، ويقول احدهم - نقلاً عن اغسطينوس - " إن هناك قوة خفية فيها تتحدث النفس مع ذاتها ، حين يبعد العقل العالم الخارجي ويقيم حديث أو مناقشة مع نفسه ، فهو يقسم نفسه في نفسه ، ويقيم النقاش مع ذاته ، فيضع الاسئلة ويجيب عليها ، ويفترض صعاباً ويقوم بحلها ، ويقدم الاعتراضات ويجيب عليها ، وطوال هذه الفترة تبقى - إن جاز لنا التعبير - القدرة الثالثة ، أو المشاهد المحايد لنفسه الذي يأخذ الملاحظات مما يدور في نقاش الجانبين ، ثم يصدر احكاماً محايدة أو غير محايدة في النهاية ، ومع ذلك فهذا الثلاثي ما هو إلا مجرد خيال ، لكنه بالاتفاق مع عناصر أخرى من حياتنا الروحية يمكن ولو بشكل باهت إن يرينا لو إن التميز كان اعرق .. معني الثالوث "

وكلنا يعرف إن الإنسان من الناحية النفسية هو إنسان مركب ، فهناك مراكز مختلفة أو نواة للضمير حتى في الشخصية السوية ، وهذا لا يشرح الثالوث ولكنه يوضح علي الأقل اننا لا نناقض انفسنا حين نعلم ما يعلمه الكتاب المقدس عن الله ، وهو إن الله غير محدود في كل كمالاته ، مركب وثالوث في جوهره .

(ج) صلاة المسيح : لقد قارن المسيح في صلاته الشفاعية في يوحنا (١٧) بين الوحدة غير الكاملة بين تلاميذه مع الوحدة الكاملة للثالوث فقد صلي " ليكونوا واحداً كما نحن " (١١) ، " ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت ايها الاب في وأنا فيك ليكونوا واحداً كما اننا نحن واحد . أنا فيهم وانت في ليكونوا مكملين الي واحد وليعلم العالم أنك ارسلتني واحببتهم كما احببتني " (٢١ - ٢٣) .

ولا يجب ابداً إن نفترض إن كلمات يسوع تبرر القول إن الوحدة الموجودة في الثالوث هي نفسها الوحدة الموجودة بين المؤمنين ، كل ما يمكن إن نقوله هو إن هناك مجاز بين الوحدة غير الكاملة للتلاميذ ، والوحدة الكاملة المطلقة في الاقانيم الثلاثة للذات الإلهية . وأخيراً نقول هناك ثلاثة اقانيم كاملة التطابق في كل الصفات الإلهية ، فثلاثة اقانيم كلي المعرفة ، هم واحد كلي المعرفة .

ثلاثة اقانيم كلي القدرة هم واحد كلي القدرة ثلاثة اقانيم واحداً الغرض والنفوذ هم واحد موحد الغرض والنفوذ فالثلاثة أقانيم هم - بالضرورة - إله واحد ، في وحدة مركبة لا تتحلل .

قيمة عقيدة الثالوث :

لا ينبغي النظر الي عقيدة الثالوث وكأنها حمل ثقيل نحن مضطرون الي حمله بسبب إن الكتاب المقدس يعلم بها ، والله اعلن نفسه علي مر التاريخ كالثالوث ، إن عقيدة الثالوث لا محيصة عنها لأنها التي توفر التناسق والوحدة لتعاليم أخرى اساسية في السياق المسيحي .

(أ) عقيدة الثالوث تهيئ الطريق الوحيد الذي نستطيع به إن ندرك الوجود الالهي الازلي قبل تكوين العالم والخليقة ، لأنه من الصعب جداً إن لم يكن من المستحيل تصور محاور بدون محاور .

هناك بعض الأمور الإلهية التي لا نستطيع إن نخترق الحجب اليها ، كما اننا لا نجد رداً مقنعاً لمن يسأل عن هذه الأمور لانها اعلي من افكارنا " كما علت السماء عن الأرض " ، وامام عقيدة الثالوث يقف الإنسان مبهوراً ومحتاراً في نفس الوقت .

وهذا ليس لأن الثالوث امر غير قائم لكن لأنه امر غير مفهوم بالعقول البشرية ، وان كانت عقيدة الثالوث حتمية – كما اسلفنا – حتى يوجد الحوار بين الاقنيم ، لعل واحداً يسأل : ماذا كان يفعل الله قبل الخليقة . ونرد بما ورد به أحد الاتقياء القدامي ، انه كان يعد الجحيم لكل من تسول له نفسه إن " يرتئي فوق ما ينبغي إن يرتئي " ، إلا إن الكتاب المقدس لم يتركنا حيارى لأنه اعلن عن كل ما يهم الإنسان إن يعرفه عن الله المثلث الاقنيم . اما فيما يتصل بالسؤال : ماذا كان يفعل الله قبل الخليقة فاعتقد إن المزمور (١٩) يمكن يجيب علي هذا السؤال . وعقيدة الثالوث تمحو كل صعوبة يمكن إن تعترض العقل البشري ، فاذا كان في الذات الإلهية ثلاثة اقنيم – الاب والابن والروح القدس – وهذه الاقنيم هم واحد . إذن الله كالفاعل الشخصي من الازل ، وكل صفاته مثل : المحبة ، والتعبير عن الذات في الشركة لابد إن تؤكد وجود من كان يشارك في مبادلة المحبة ، والتعبير ، والشركة .
وبتعبير اخر ، فان عقيدة الثالوث ، بدلا من إن تكون صعوبة فلسفية ، أو ثقلاً علي التفكير المسيحي ، فهي الشكل الوحيد المعقول الذي يمكن إن نتصوره عن الذات الإلهية في الازل .

(ب) عقيدة الثالوث هي النمط الوحيد الذي يمكن أن تتخيله عقولنا البشرية عن عمل الكفارة الذي عمله المسيح لأجل خطايانا ، وسيكون من الصعب علينا بدون هذه العقيدة أن نتخيل كائناً غير محدود وأزلي وغير متغير ، حكيم ، وقوي ، قدوس وعادل وصالح وحق كائناً يحتفظ بكل صفاته الالهية قد صار عضواً في جنسنا في التاريخ ، وان هذا الكائن واجه الجنس البشري بمحبة الله في حياة ارضية واننا – الجنس البشري – قد سمرناه علي الصليب ، وعلقناه هناك بينما استهزانا به وسخرنا منه ، وأنه فعلاً حمل خطايانا في جسده علي الخشبة ويموت من اجل الغفران في الوقت الذي كنا نستحق فيه العقاب الابدي ، وانه ذهب فعلاً الي مكان الموتى بينما جسده كان راقداً في القبر ، وأنه فعلاً قام من الاموات في جسد القيامة الذي سيكون لنا مثله في قيامتنا أو اختطافنا ، وانه صعد الي " أرض بعيدة " لياخذ ملكاً (لوقا ١٩ : ١٢) ، أن من الصعب علي عقولنا أن تستوعب كل هذه الحقائق المركزة في عمل المسيح الكفاري ، إلا في ضوء التثليث في الذات الالهية – "لأنه هكذا احب الله – الاب – العالم حتى بذل ابنه الوحيد – الاقنوم الثاني في اللاهوت – لكي لا يهلك كل من يؤمن به – بعمل الروح القدس واقناعه – (يوحنا ١٦ : ١٨ افس ٢ : ٨) بل تكون له الحياة الابدية " (يوحنا ٣ : ١٦) .

(ج) عقيدة الثالوث تنير الشركة المسيحية مع الله " انظروا اية محبة اعطانا الاب حتى ندعي أولاد الله " (يوحنا ٣ : ١) والايات التي ذكرناها سابقاً من يوحنا (١٧) تضيف الي الموضوع الذي نتأمل فيه الان ، فحقيقة كون الله – اب وابن وروح قدس – تبرهن علي أن

الله هو اله المحبة والشركة ، وكلمات المسيح المسجلة في صلواته الشفعية ترينا أن الله ينوي اخذنا الي شركة مع نفسه ، واننا سنكون اعضاء في عائلة الايمان ، وأعضاء في عائلة الله .

وبطبيعة الحال نحن محدودون ، لأننا مخلوقون ، بينما الاقانيم غير محدودة الكمال ، وأزلية ، وغير مخلوقة ، إلا اننا يجب أن نسعد بسبب فكرة أن الله ، الذي هو اله المحبة والشركة قد خلقنا للشركة مع نفسه .

والان نأتي الي بعض كلمات غير المسيحيين عن هذا الموضوع : قال القاضي أبو بكر الخطيب (إذا امعنا النظر في قول النصاري أن الله جوهر واحد وثلاثة اقانيم . لا نجد بيننا اختلافاً إلا في اللفظ فقط) .

وقال الكاتب الكبير عباس محمود العقاد : في كتابة (الله) صفحة (١٧١) :
(أن الاقانيم جوهر واحد وان (الكلمة) الذي هو المسيح والاب وجود واحد ، وانك حين تقول الاب لا تدل علي ذات منفصلة عن (الابن) لأن لا انفصال ولا تركيب في الذات الالهية) .

ويقول ايضا عباس العقاد وفي نفس الكتاب (الله) وفي صفحة (١٥٩) :
(جاء المسيح بصورة جميلة للذات الالهية)

وقال الشيخ أبو الفضل القرشي :
(يمكن أن يكون المراد أن اللاهوت ظهر في المسيح وهذا لا يستلزم الكفر . وأنه لا اله إلا الله) .

وهكذا يؤكد الجميع أن الله واحد ، وانه ثلاثة اقانيم :

الأب

والابن

والروح القدس

الإله الواحد ... له المجد